د. محمود نمر موسى*

عَودة الى الأرض المقدسة:

كيانان فاشلان بحاجة لنموذج جديد؟

■ ما العمل؟ لماذا لم تنجح خطط بلا عدد وحروب مستمرة ومفاوضات بلا نهاية في تقسيم الأرض التي بين البحر والنهر وتحقيق العدل والسلام؟ هل أنّ هذه الأرض لا يمكن تقسيمها؟ متحديةً ظلت هذه القطعة الصغيرة من الأرض في رفضها أن تقطّع اربَاً. وكأنها أرادت أن تبرهن على حكمة أحد زعماء السكان الأصليين في أمريكا الشمالية، الذي عندما طلب منه الرئيس الأبيض الثفاوض حول تقسيم الأرض أجاب: «الأرض ليست ملكاً للانسان كيما يقسمها».

هناك العديد من الأسباب التي تجعل التقسيم غير ممكن:

1. الهوية والتاريخ الميثولوجي للفلسطينيين واليهود يرتكزان على المساحة الكلية للأرض. ولا يمكن لأي طرف منهما أن يقبل الى الأبد ان يبقى محروماً مما يعتبره وطنه.

2. المزيج الديمغرافي: 450,000 يهودي يعيشون في«مستوطنات» على أراض احتلت عام 1967. و1,25 مليون فلسطيني يعيشون داخل خط الهدنةَ المرسوم عام 1949. علماً أن معظم اللاجئين الفلسطينيين كانوا طردوا من أراض داخل خط الهدنة.

3. نظراً للجغرافية وتوزيع السكان، فانه لا يمكن رسم أي حدود. كما أنه لا يمكن تقسيم القدس والأماكن المقدسة، فهذه مشكلة معقدة للغاية.

4. المصادر الطبيعية الشحيحة، خاصة المياه، في قطعة من الأرض صغيرة الى هذا الحد، لا يمكن تقسيمها وستبقى مصدر توتر.

5. الاقتصاد والتجارة والقوى العاملة متداخلة.

6. الشرعية السياسية القانونية: الدول القائمة على العرقية بدلاً من المواطنة دول تمارس التمييز وتخرق القانون الدولي ومواثيق حقوق الانسان.

ان كل هذه البقعة من الأرض، في هذا الوضع الراهن، هي كيان واحد بحكم الواقع. انها جغرافية واحدة، بموارد مشتركة وديمغرافية مختلطة واقتصاد مشترك. غير أن فيها الآن فرقاً شاسعاً في القوة السياسية والثروة الاقتصادية وفي توزيع الموارد، اضافة الى انكار حقوق اللاجئين الفلسطينيين في العودة الى ديارهم. لا يمكن تحقيق السلام الا بمعالجة اختلالات كتلك، وهذا ما نعمل من أجله.

هاكم ما قاله في هذا المعنى Meron Benvenistiفي العدد 99 من الدورية Challenge، ايلول (سبتمبر) ـ تشرين الاول (أكتوبر) 2006.

«ما لدينا الآن على الأرض هو واقع ثنائي القومية، ولا فكاك من ذلك. الضغوط الديمغرافية والموارد الاقتصادية المحدودة التي على الجميع أن يتقاسموها والفجوة الاقتصادية الضخمة بين الاسرائيليين والفلسطينيين، كل ذلك يجعل من حل الدولتين أمراً مستحيلاً. لقد بدأ العديد من الفلسطينيين يرون أن لا مجال لدولتين. الخطوة التالية هي أن يقولوا، ضمنا! نريد حقوقاً مدنية! حينئذ يبدأ النضال الكلاسيكي لتحقيق المساواة».

المطالبة بهذا الحل لهذا النزاع، يجعل النضال نضال قيم لا صراعاً على بقعة صغيرة من الأرض. اننا نختار الانسان والمجتمع بدلاً من الدول، والتضامن بين الأعراق بدلاً من العصبيات القومية والدينية، وأن نكون ونصير بدلاً من أن نحوز ونجمع. خيارات مثل هذه كانت على الدوام متاحة للانسانية لتأخذ بها.

دعونا نخاطب أولئك الذين يقولون اننا حالمون غير واقعيين:

ماذا لدينا غير التاريخ يخبرنا كيف ستجري الأحداث؟ كلما فشل المستعمرون في ابادة السكان الأصليين، انتهى بهم الأمر الى أن يكونوا في كيان سياسي واحد. ولن تكون فلسطين استثناء. لقد تخلصت الانسانية أثناء تقدمها الواضح، وان لم يكن مضطرداً، نحو الكمال الأخلاقي من العبودية وسوف تقضي على الاستعمار والامبريالية. ومن المشجع أن الفترات من التاريخ التي تتناوب فيها غلبة المستبد وغلبة الجماهير العريضة، والتي تمتد عادة قرابة 30 سنة، صارت منذ وقت قريب الى فترة مواتية للجماهير.

ثم أنتم أيها «الواقعيون» الى أين قادتنا واقعيتكم؟ ألم تتعلموا من التاريخ درساً أنه لا طرق مختصرة في الكفاح من أجل التقدم الأخلاقي وحقوق الانسان؟ أيّ حل لديكم لهذا الصراع؟ الحقيقة هي: أنتم ليس لديكم حل بديل.

دعونا نخاطب الفلسطينيين:

لقد تصرفنا باستمرار بردود الأفعال بسبب حالة الاستعجال التي نعيشها منذ عقود. علينا أن نخطط لما نريد على المدى البعيد، وبشكل جمعي كأمة، بما في ذلك أولئك الذين في فلسطين التاريخية والذين في الشتات.

يحكى أن امرأتين كل منهما تزعم أنها الأم الحقيقية لطفل من الأطفال احتكمتا الى قاض حكيم. وعندما حكم القاضي بأن يشطر الطفل وتعطى كل امرأة نصفاً، رفضت الأم الحقيقية القرار.

في عام 1947، رفضنا مثل أم الطفل الحقيقية، أن تقسم الأرض. ولكن أولوية القاضي لم تكن لا مصلحة الطفل ولا مصلحة المرأتين، ما كان يهمه هو مصلحته. ما لدينا الآن هو كيان واحد بحكم الواقع، وان يكن فيه تباينات شاسعة بين العرب واليهود. لماذا يجب علينا أن نقبل تقسيم الأرض؟ وهل يضير الطفل أن يكون له أكثر من أم واحدة؟

لقد بالغنا في التركيز على دور «الدولة» في حياتنا في وجودنا الجمعي وأهميتها لرفاهنا كشعب. بدلاً من على الدولة، لا بد أن يكون تركيزنا على الوطن والمجتمع. التركيز هكذا على الدولة سوف يقودنا الى تقديم تنازلات ضارة بوجودنا كشعب. ان القبول بدولة ضمن حدود 1967، حتى مع ازالة جميع المستوطنات، وهو ما لن يحدث، سوف يحرم أكثر من ثلثي شعبنا من وطنهم. قبول كهذا سيتركنا في مواجهة السؤال المنطقي الذي يسأله كثيرون في العالم: اذا كنتم تريدون دولة قائمة على أساس عرقي لأنفسكم، فلماذا تنكرون ذلك على اليهود؟

دولة كهذه ستكون شحيحة الموارد ومعتمدة على المصادر الأجنبية لبقائها. ومع الاختلال في موازين القوى مع اسرائيل، فان دولة كهذه لا يمكن أن تكون مستقلة، ولن تحصل على حصة مناسبة من الموارد الشحيحة، كالمياه والتجارة والاقتصاد والقوة العسكرية. وجود كهذا يعيد الى الذاكرة قول Rafi Eitanعام 1983، وكان حينذاك رئيس هيئة الأركان في الجيش الاسرائيلي وهو الآن قائد أحد الأحزاب في الكنيست: «عندما نأخذ الأرض، سنترك الفلسطينيين كصراصير في زجاجة».

يعرف علم السياسة دور الدولة بأنه تقسيم ما له قيمة بين السكان، سواء أكانت تلك القيمة سياسية أم اقتصادية. ومع تزايد شح القيمة، يصبح الصراع الداخلي أشد ضراوة. هذا يفسر الفساد والصراع على الموارد السياسية والاقتصادية والضعف الناتج في النسيج الاجتماعي لمجتمعاتنا منذ تأسيس «السلطة» بناء على اتفاقيات أوسلو. ألم نكن أفضل حالا اجتماعياً واقتصادياً بدون هذه السلطة الوهمية؟ ألا يثبت هذا صحة القول: «لا يمكن هزيمة الشعب، أما الدولة فيمكن هزيمتها».

انشغالنا بـ«الدولة» حدّ كثيراً من اتصالنا بالشعوب العربية. فقادتنا يخاطبون الحكومات بدلاً من الشعوب. وَهُم الحكومة هذا جعلنا نغفل أن زكاة أموال ثلاثة من أثرياء العرب تعادل ميزانية السلطة الفلسطينية؛ بينما يقوم شبابنا ببناء سور الفصل العنصري والمستوطنات من أجل البقاء. ولقد ساهمنا بفاعلية في صناعة ثروات أولئك الأفراد.

ان علينا كشعب أن نعيد الاتصال بالعالمين العربي والاسلامي والقوى الشعبية في أرجاء العالم. ويجب أن نبين دائماً أن هذا الصراع هو صراع السكان الأصليين ضد الاستعمار والامبريالية. يجب أن لا يرى العالم هذا الصراع على أنه بين شعوب وديانات. يجب أن تكون لنا أهداف تشاركنا فيها الغالبية العظمى: حقوق الانسان والمساواة؛ ومحاربة كل أشكال التمييز العنصري؛ ومناصرة الديمقراطية السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ان المنظمات التي تقوم على الايديولوجيات (القومية أو الاسلامية أو الليبرالية أو الماركسية) تجلب الفرقة والضرر.

اننا الآن نتساءل عما اذا كان من مصلحتنا أن نطالب السلطة بحل نفسها أو أن تحصر عملها في الخدمات الأساسية. لا بدّ من اصلاحات كبيرة في منظمة التحرير الفلسطينية أو أن تستبدل بمنظمة جديدة. ومنظمة كهذه يجب أن تمثل كل الفلسطينيين ديمقراطياً والاّ ترتكز على الفصائل. كما يجب فتح باب العضوية فيها لليهود تمهيداً لدولة ديمقراطية لكل من يعيش على أرض فلسطين التاريخية وللاجئين.

فلنستمع لقولين في خصوص حل هذا النزاع، أحدهما لفلسطيني والآخر لاسرائيلي. الأول للمفكر الراحل ادوارد سعيد الذي كتب في جريدة «الأهرام» المصرية مقالاً بعنوان: البديل الوحيد.

«الحقيقة التي لم نولها الاهتمام الكافي هو أنه لمناوأة الفكر الاقصائي الصهيوني، لا بد لنا من تقديم حل للنزاع يقوم، كما قال مانديلا، على التركيز على الانسانية المشتركة بين اليهود والعرب. شعبان في دولة واحدة. أو، المساواة للجميع. أو صوت واحد لكل شخص. أو، الانسانية المشتركة معتمدَةً في دولة واحدة».

القول الآخر لرئيس الوزراء الاسرائيلي ايهود أولمرت، الذي قال في عدد 19 شباط/فبراير 2004 من جريدة «هآرتس»:

«ليس لدينا وقت بلا حد. فالفلسطينيون غير المهتمين بحل الدولتين عن طريق المفاوضات في تزايد، لأنهم يريدون تحويل جوهر الصراع من نموذج جزائري الى نموذج جنوب افريقي. من نضال ضد «الاحتلال» حسب قولهم، الى نضال من أجل صوت واحد لكل شخص، وهو نضال أكثر شعبية، وفي النهاية أقوى. بالنسبة لنا، هذا يعني نهاية الدولة اليهودية».

نقول لليهود في كل مكان:

دعونا ننظر فيما لديكم الآن وما يمكن أن يوفره لكم حل «الدولة الديمقراطية الواحدة». ان اسرائيل ككيان سياسي كانت تجربة فاشلة. لقد فشلت في اجتذاب اكثر من ثلث يهود العالم لأن نوعية الحياة التي تعيشها الغالبية العظمى حيث هم أفضل. وبدلاً من أن تكون اسرائيل عوناً ليهود الشتات، فانها لا تستطيع العيش بدونهم؛ لقد أصبحت عبئاً مالياً وأخلاقيا على اليهود.

لقد فشلت اسرائيل في أن تكون مستقلة لأنها لا تستطيع البقاء بدون الدعم المالي والعسكري والسياسي من الولايات المتحدة. لقد أصبحت ملحقة بالولايات المتحدة في مسعاها للهيمنة على العالم واضطهادها واستغلالها للشرق الأوسط وموارده. وفي سبيل ذلك، شنت اسرائيل الحروب وسببت ما لا يوصف من المآسي لشعوب المنطقة. هل يمكنكم الاعتماد على دعم الولايات المتحدة الدائم؟ لقد بدأ الحديث، حتى في الجناح اليميني في الولايات المتحدة عن أن اسرائيل صارت عبئاً. الولايات المتحدة امبراطورية في طور الانهيار؛ هل يمكنكم الاعتماد على أنها ستبقى قادرة على المحافظة على أطراف امبراطوريتها؟

ان اسرائيل باعترافها و«قوانينها الأساسية» دولة عنصرية وغير ديمقراطية بسبب تمييزها الواضح ضد الفلسطينيين، السكان الأصليين. كما أن اسرائيل فشلت في توفير حياة رغدة لسكانها. ففي دراسة علمية دقيقة لنوعية الحياة أجراها Mercer Human Resources Consultingعلى 215 مدينة رئيسية في العالم باستخدام 39 معياراً صنفت تل أبيب، المدينة الاسرائيلية الوحيدة ضمن الدراسة، في نفس المستوى مع مدن في العالم الثالث مثل بانكوك وساو باولو. أكثر من ثلث الاطفال الاسرائيليين يعيشون تحت خط الفقر، النسبة الأعلى بين الدول الصناعية. وحسب بنك اسرائيل المركزي، فان الفقر ازداد أكثر من 50 % في السنوات الخمس الأخيرة.

في العنف المدرسي لا يسبق اسرائيل الا الولايات المتحدة. يقال ان لديكم رابع أو خامس أقوى جيش في العالم، وأكثر من 200 قنبلة نووية؛ ولكن على الطفل أن يأخذ سكينته مع ساندويشته الى المدرسة؛ فهل يمكن لقنابلكم النووية أن تحميه من أقرانه؟ اسرائيل كيان فاشل. فقد صنفت منظمة الشفافية الدولية اسرائيل كواحدة من أكثر الدول الصناعية فساداً، بسبب ممارسات نخبكم السياسية والاقتصادية.

ألم تجعلكم اسرائيل تغيروا دوركم في تاريخ الانسانية من قوة من أجل التقدم الأخلاقي وحقوق الانسان الى ملحق بالقوة العالمية الأكثر عدوانية وظلماً؟

فلنتذكر أنه في ذروة الحرب الباردة في الولايات المتحدة عندما حاولوا أن يجدوا أحداً يضحون به لإسكات القوى التقدمية، وجدوا اثنين من اليهود، Julius وEthel Rosenberg وأعدموهما بتهمة الخيانة بناء على أدلة غير مقنعة، واهية. ولنتذكر أيضاً اليهوديين ، وهما منMichael Schwermerو Andrew Goodman المحاربين ضد الفصل العنصري في جنوب الولايات المتحدة، اللذين اغتالتهما القوى العنصرية مع رفيقهما الأسود عام 1964. هل أنتم كما في الأغنية التي كتبت عن: Goodman He Is My Brother (انه أخي)، أم أن اسرائيل جعلتكم اخوة وأخوات لذلك اليهودي الآخر، Baruch Goldstein؟ كم غيرت اسرائيل من دوركم في تاريخ الانسانية!

الى اليهود الذين كانوا حتى عهد قريب في مقدمة النضال ضد الفصل العنصري في جنوب افريقيا: ألا تتذكرون كيف احتضنت اسرائيل نظام الفصل العنصري في جنوب افريقيا حتى النهاية، متبادلة معه تكنولوجيا صناعة القنابل النووية، اضافة للتعاون الاقتصادي والسياسي؟ وبأي معيار موضوعي، فان سياسة الفصل العنصري التي تمارسها اسرائيل ضد الفلسطينيين هي أسوأ بكثير مما مارسته جنوب افريقيا ضد السكان الأصليين السود. اننا ندعوكم لتجاوز العرقية وأن تستحضروا انسانيتكم.

اننا نسأل اليهود في كل مكان: ما هي الصفة الرئيسية لاسرائيل. هل هي حقاً اليهودية؟ من الذي يسيطر على اسرائيل من القمة الى مستوى مدير مدرسة ابتدائية؟ ليسوا خريجي المدارس التلمودية (Yeshiva Schools)، انهم خريجو المؤسسة العسكرية. صفة اسرائيل الرئيسية هي أنها دولة عسكرية استعمارية، مرتزقة. ضمن اخفاقاتها الكثيرة، هل أخفقت اسرائيل في أن تكون دولة يهودية؟

هل أنتم كما أرادتكم اليهودية: «نور على الأمم»، أم أنكم أصبحتم ناراً على الأمم؟ قد تكونون كسبتم قطعة صغيرة من الأرض، ولكن هل خسرتم روحكم، انسانيتكم؟

لنرى البديل الذي يمكنكم الحصول عليه في نظام «الدولة الديمقراطية الواحدة مع المساواة للجميع».

يمكن أن يكون لكم عيش بسلام بدلاً من وجود لقتال. حتى لو صرتم أقلية، فستحصلون على ضمانات بأن تكونوا أقلية محمية تديرون بأنفسكم شؤونكم الخاصة كالدِّين والثقافة. ويمكن للدولة أن تكون وطناً روحياً وثقافياً لكل يهود العالم. اذا كنتم، كما تقولون، تريدون العودة للوطن، فانه، اذن، يلزمكم أن تعودوا جسداً وروحاً. الاّ أنكم بالجسد لا بالروح جئتم. ليس بالروح بل بالسيف جئتم. سيف الاستعمار والامبريالية. الأوروبيون ميزوا ضدكم لأنهم اعتبروكم شرقيين أدنى منهم. الآن «تعودون» وتقولون لمن في الشرق: «نحن أوروبيون وأرقى منكم»، كفى هزلاً!

دعونا كلانا ننحي الانتهازيين منا الذين لا ولاء عندهم لأحد الاّ لأنفسهم، المحافظين الجدد ـ الاستعماريين الجدد منكم، والانتهازيين منا التواقين الى أن يكونوا مدراء سجن يسمونه دولة.

ان دولة ديمقراطية واحدة كالتي وصفنا، تعيش في سلام مع الشعوب حولها، ستكون لها سوق اقتصادية كبيرة مفتوحة. دولة كهذه يمكن أن تكون جسراً اقتصادياً وثقافياً بين الشرق الأوسط وأوروبا وأمريكا الشمالية. حينئذ يجوز لكم أن تكونوا مرة أخرى نوراً على الأمم. الى الذين يقولون ان العرب واليهود لا يمكنهم أن يتعايشوا وكأن هناك شيئاً متأصلاً يمنعهم من العيش بسلام نقول قولكم هذا خاطئ وساخر. ان المسلمين والمسيحيين واليهود عاشوا معاً وازدهروا منذ وجدت هذه الأيان وحتى قدوم الاستعمار الى المنطقة. الكثير من المؤرخين يعتبرون أن العصر الذهبي لليهود كان في اسبانيا حيث حكم المسلمون قرابة 800 عام. وعندما حل الكاثوليك محل الحكم الاسلامي، ذهب اليهود الى دول اسلامية أخرى مثل المغرب وتركيا. وحتى ابان فترة الانتداب البريطاني قبل 1948 ورغم المحاولات الصهيونية لفصل اليهود عن الفلسطينيين، فان آلافاً من العمال عملوا جنباً الى جنب في المصافي وسكك الحديد والمؤسسات الحكومية دون عنف ذي بال. لم ينشأ العنف الأبعد قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1947. التقسيم هو الذي أدى الى العنف وليس العكس.

كلانا خبرنا التجربة نفسها في التشرد والاضطهاد والتمييز ضدنا. دعونا نرى العالم المعدن الذي منه صنعنا. يمكننا أن نكون مثل تمثالين صغيرين مصنوعين من ذهب عند طرقهما تنبعث منهما موسيقى جميلة. بوسعنا أن نري العالم قدرة النفس الانسانية على قهر الصعاب. دعونا نكون معاً في جوقة من الموسيقى الجميلة. هذا خيار يمكن أن نأخذ به بدلاً من هذا الوضع الذي يحزن الجميع.

فلنعجل قدوم يوم يجلس فيه جد يهودي وجد فلسطيني مع حفيديهما على جبل الكرمل، حيث يتأمل الأربعة البحر في سعته وجماله؛ كل جد يحدث حفيده عن تاريخ وبطولات شعبه، بينما يكد الأبوان معاً متساويين متضامنين.

نقول لأوروبا:

هذا الصراع من نتاجكم. ومن واجبكم الأخلاقي أن تحلوه. كما أن لكم في ذلك أيضاً مصلحة مباشرة اقتصادياً واستراتيجياً. الصهيونية واسرائيل نتاج أيديولوجي أوروبي. فاننا لا نقرأ في كتابات ثيدور هيرتزل لا موسى ولا ابن ميمون. اننا نقرأ هيغل في حديثه عن «روح الأمة» و«الدولة الأمة كتجلٍ لإرادة الله».

كما أن الصهيونية هي تجلٍ للفكر الأوروبي الاستعماري الذي ساد في أوروبا في القرن التاسع عشر. فان الامم الأوروبية الأخرى كلها تقريباً خرجت تستعمر بقعة من بقاع الأرض؛ وفي ذهنهم أن أي أرض سكانها غير أوروبيين هي فارغة مجازاً ويتوجب أن تكون متاحة للأوروبيين. فلماذا، اذن، لا يكون الأمر نفسه لليهود؟ هذه التركيبة من أيديولوجية «أمة واحدة في دولة واحدة» والحركة الاستعمارية بتوجهاتها العنصرية والتفوقية تجاه غير الأوروبيين هي ما أوحى لليهود الأوروبيين أن ينطلقوا في مغامرة استعمارية. فلو أن الصهاينة كانوا «يعودون للوطن»، فلماذا انتظروا 19 قرناً، ولماذا حتى ذروة القومية والاستعمارية الأوروبية؟ وانكم اذ تجاوزتم هذه المرحلة من نموكم، لماذا تواصلون تأييد اسرائيل، وهي دولة أوروبية متحجرة في القرن التاسع عشر؟ انكم لا تقبلون أن تقام دولكم على العرقية بدلاً من المواطنة، وقد قطعتم شوطاً كبيراً نحو اقامة «دولة عليا» (superstate) متعددة القوميات. وفي نفس الوقت تستمرون بتأييد دولة هي باعترافها لليهود فقط، وفيها تمييز مؤسسي ضد الديانات والقوميات الأخرى. ألا تتذكرون القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين حين سادت القومية، وكيف كان ذلك سبب حروب مستمرة تقريباً؟ فلماذا اذن تستمرون في تأييد القومية المتعصبة وحروبها المستمرة؟ بدون دعمكم الكامل؛ خاصة البريطاني والفرنسي والألماني؛ ما كانت اسرائيل لتقوم وتستمر. هنالك كانت بريطانيا واتفاقها التآمري بين مارك سايكس والفرنسي جورج بيكو عام 1916 لتقسيم العالم العربي بينهم. وتبع ذلك اعلان بلفور عام 1917 ومؤتمر باريس عام 1919، وخططه لانشاء اسرائيل، من أجل، كما قال ونستون تشرتشل، «حماية قناة السويس، خط الحياة العظيم لامبرطوريتنا».

بدلاً من القيام بما كلفتها عصبة الأمم به من مساعدة الناس في العالم العربي على اقامة دولتهم، عينت بريطانيا بين عامي 1920 و1925 الصهيوني المعروف هربرت صامويل مندوباً سامياً في فلسطين، والذي قام بتأسيس نواة الدولة اليهودية بمؤسسات ادارية ومالية وتعليمية وعسكرية للصهاينة فقط، بمعزل عن تلك التي للسكان الأصليين. واستعملت الحكومة البريطانية كل قوتها العسكرية لقمع أي احتجاج ضد هذه الاجراءات وواصلت تسهيل هجرة الصهاينة وتقوية مؤسساتهم.

وقدم الألمان والنمساويون دعماً مالياً ضخماً لهذه الدولة ساهم مساهمة حاسمة في بقائها.

أما الفرنسيون، فبالاضافة لمؤامراتهم مع البريطانيين، فقد بنوا الأسلحة النووية الاسرائيلية التي ما تزال تهدد المنطقة بأسرها والسلام العالمي.

ان الصراع الحالي اذا لم يحل فسيستمر مصدراً للتوتر بينكم وبين العالمين العربي والاسلامي. ان من مصلحتكم أن يحل السلام الدائم في المنطقة وأن تتطور اقتصادياً. ان في هذا مصلحة اقتصادية لكم لأن المنطقة هي شريكم الاقتصادي الطبيعي نظراً لقربها.

من أجل تلك الغاية ندعوكم لأن تفصلوا سياستكم تجاه الشرق الأوسط عن سياسة الولايات المتحدة تجاهه. لأنه اضافة لمصالحكم الاقتصادية والاستراتيجية، فان هناك فروقاً ثقافية كبيرة بين أوروبا والولايات المتحدة جعلت من يدرسون الأنثربولوجية المقارنة يتساءلون: أيّ اتجاه هو الغرب؟ عسى أن تنعكس هذه الفروق الثقافية في سياستكم الخارجية.

نقول للمجتمع الدولي:

ان قيام دولة اسرائيل برعاية مباشرة ودعم مستمر من أوروبا الغربية والولايات المتحدة تسبب في حالة حرب وتوتر مستمرة في الشرق الأوسط بأسره ويهدد السلام العالمي. اننا ندعوكم أن تهتموا بحل هذا النزاع اهتماماً فعالاً.

لقد تحدت اسرائيل المجتمع الدولي برفضها تنفيذ قرارات الأمم المتحدة وأحكام محكمة العدل الدولية والمواثيق الدولية الخاصة بحقوق الانسان. لقد رفضت تنفيذ قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 194 الذي ينص على حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة الى وطنهم. وقد حال دون اقراره من قبل مجلس الأمن فيتو الولايات المتحدة الامريكية 41 مرة.

لقد تحدت اسرائيل محكمة العدل الدولية التي طالبت بازالة جدار الفصل العنصري المقام على أراض احتلت عام 1967. انها تحتل بالقوة منذ عام 1967 تلك الأجزاء من فلسطين التاريخية المعروفة بالضفة الغربية وقطاع غزة وترفض الانسحاب كما طالبها مراراً قرار الأمم المتحدة 242. انها لم تفتأ تسبب معاناة هائلة لـ 3,5 مليون فلسطيني الذين يعيشون هناك بنية دفعهم الى خارج أرضهم كما فعلت سابقاً عام 1948.

في قرارها رقم 3379 لسنة 1975 أعلنت الجمعية العامة أن الصهيونية نوع من أنواع العنصرية. كبير الأساقفة دزموند توتو، الجنوب افريقي الحاصل على جائزة نوبل للسلام زار فلسطين/اسرائيل وكتب في صحيفة «الغارديان» البريطانية في عدد 29 نيسان/أبريل 2002:

«لقد حزنت كثيراً أثناء زيارتي للأرض المقدسة؛ لقد ذكرتني كثيراً بما حدث لنا نحن السود في جنوب افريقيا». دعونا نطلب من كبير الأساقفة توتو أن ينشئ «لجنة للحقيقة والمصالحة» لهذا النزاع كما فعل في جنوب افريقيا وايرلندا الشمالية.

في الحقيقة، ان ما تفعله اسرائيل بالفلسطينيين أسوأ بكثير مما جرى في جنوب افريقيا.

ما لدينا الآن في فلسطين/اسرائيل هو كيان واحد بحكم الواقع ولكن بتباينات شاسعة بين اليهود والفلسطينيين. هدفنا هو سلام دائم للشرق الأوسط وبالتالي لكل العالم عن طريق انشاء دولة واحدة لليهود والفلسطينيين مع المساواة والديمقراطية السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

هدف كهذا لا يمكن أن يتحقق دون تدخلكم. اذا ما استمرت اسرائيل في تحدي القانون الدولي ومواثيق حقوق الانسان وقرارات الأمم المتحدة، فاننا ندعوكم لمقاطعة اسرائيل ومعاقبتها.

ما معنى أرض الميعاد؟

يقال ان هذه أرض مقدسة. ولكن هل هكذا تعامل الأرض المقدسة؟ أشجارها تقتلع بالآلاف. بيوتها تدمر. مواقعها الأثرية وتراثها المادي يتعرض للكثير من التغيير ويشوه بجدران ومئات من نقاط التفتيش. مياهها ومواردها الشحيحة تتعرض للاستغلال الزائد والتلويث. هذا، اضافة للاشعاع النووي، يتسبب بواحد من أعلى معدلات السرطان في العالم. وبوجود 10000 سجين بينهم 400 طفل، يكون فيها أعلى معدلات الاعتقال في العالم. لا يمر يوم الاّ ويقتل مدنيون بأسلحة من أفتك ما تم اختراعه.

يقال ان هذه هي «أرض الميعاد». ولكن ما معنى أرض الميعاد؟ هاكم ما قاله مارتن لوثر كنغ قبل اغتياله بثلاثة أيام على يد القوى العنصرية في الولايات المتحدة. باكراً في أحد أيام نيسان/أبريل عام 1968، وقف بين أزهار الكرز في واشنطن، وبصوته المميز قال: «لقد صعدت الى أعلى الجبل ورأيت أرض الميعاد، حين يقاس الانسان بأخلاقه لا بلون بشرته».

في ملاعب كرة القدم والكريكت في انكلترا، يغني أبناء العمال الانكليز: «سنبني قدساً جديدة على أرض انكلترا الخضراء الجميلة». ونحن: الفلسطينيين واليهود، ومعنا كل المناضلين من أجل التقدم الأخلاقي للانسانية سوف نبني قدساً جديدة على أرض القدس الخضراء الجميلة. ومن كان لديه شك، فلينظر ويرى ما حققناه: نحن العبيد، نحن النساء، نحن السكان الأصليين في كل مكان، نحن البؤساء في هذه الأرض. انظر ما حققناه!

ألقيت في المؤتمر الدولي لـ «جمعية دولة ديمقراطية واحدة» الذي عقد في جنيف في 7 ـ 8 تشرين الاول (أكتوبر) 2006 /http://www.one-democratic-state.org

* أكاديمي فلسطيني
Email: mahmoudnmusa@yahoo.com

أين قادة فتح؟!

رشاد أبو شاور*

■ بتاريخ 26 أيار (مايو) 2006 نشرت مقالة بعنوان: هل لفتح قيادة واحدة، بقرار واحد؟!

ومما جاء في تلك المقالة: رد فتح على نتائج الانتخابات التشريعية، وخيار الشعب الفلسطيني هو رد أمني، فلا تحليل سياسي، ولاإعادة نظر في واقع الحركة، ولا تأمل في الأسئلة المطروحة...

ومما جاء في تلك المقالة، وأثبته للتذكير: ماذا يريد هؤلاء بردهم الأمني، بتحشيد الأجهزة، بتسليحها؟ إلى أين يغامرون بشعبنا وبقضيتنا؟ هل يمكن لقواعد فتح أن تستيقظ وتستعيد الحركة، ودورها، وتجدده؟

وإذا كنت أطرح هذه الأسئلة على قيادة فتح، لجنتها المركزية وأطرها، وقواعدها، فإنني قد عمدت إلى طرحها على شعبنا: ثم أطرح هذا السؤال على أبناء وبنات شعبنا، وعلى المثقفين بخاصة: هل الصراع هو بين حماس وفتح، أم انه بين شعبنا وقواه الحية وبين الخارجين على خياره..وختمت تلك المقالة بوعد: إلى اللقاء...

ثم ها نحن نلتقي، والاقتتال يحتدم، والقضية على كف عفريت...

هنا أسأل: أين قيادة فتح؟ أين ما تبقى من لجنتها المركزية؟!

أسئلة تتزاحم ونحن نرى قادة الأجهزة الأمنية وهم يجتمعون مع قادة من حماس، نيابة عن حركة فتح...

وما تبقى من القادة المؤسسين فهم غياب، ولا صلة بينهم، فأبو اللطف في تونس لا يتواصل هو وزميله أبو ماهر، والإثنان لا صلة بينهما وبين أبي مازن، والزعنون منسي ومكتف باجتماعات موسمية لمن حضر من أعضاء المجلس الوطني، وقيادة الصف الثاني بعد المؤسسين ساكتون حالياً، علماً أن واجبهم الحركي والوطني يفترض أن يدفعهم لرفع أصواتهم منفردين ومجتمعين، وبخاصة: هاني الحسن، عباس زكي، نصر يوسف الذي تسلم (الداخلية) وصرح بأن الخرق أكبر مما يتصور، ومحمد جهاد، وصخر حبش (شفاه الله).. ومن أيضاً؟!

حالياً: أمراء الأجهزة الأمنية يستولون على حركة فتح، ويتحالفون مع سفراء منتفعين طامحين لمناصب سياسية، وخريجي اتحاد الطلبة من الذين اعتادوا المناورات والألاعيب السياسية الذين لا تجارب ميدانية نضالية لهم في القواعد مع المقاتلين، أو عمل ميداني تنظيمي، والذين اثروا من التجارة، والبزنس، وأنشأوا علاقات مع نظم حكم عربية لمصالحهم الشخصية...

فتح غائبة قيادةً وقواعد، وأمراء الأجهزة وقد رأوا أن خيار الشعب الفلسطيني للمجلس التشريعي يتهدد امتيازاتهم، ودورهم، وطموحاتهم في الهيمنة على (الرئاسة) بعد مرحلة أبي مازن، ولارتباطهم بعلاقات التبعية مع الجهات التي دربتهم، وتزودهم بالمال والسلاح للقمع والاقتتال الفلسطيني ـ الفلسطيني، وتدعم بروز بعضهم ليكونوا بدلاء سياسياً، فإنهم لا يتورعون عن جر شعبنا إلى كارثة الاقتتال السياسي.

ليس صدفةً أن أمراء أجهزة الأمن يحرضون باسم فتح، وأنهم يدفعون بخالد سلام ليفاوض، ويتحرك، ويتصل بقيادة حماس.. قادة الأجهزة والمستولون على المال الفلسطيني يتحالفون..من يديرهم ويوجههم؟! الأمر واضح...

أين قيادات فتح؟ بقايا اللجنة المركزية، وقيادات الساحات والأقاليم، والاتحادات الشعبية؟! أهي غائبة، أم انها اندثرت وفقا لخطة مبكرة نفذت خطوةً خطوة، بالاغتيالات بالرصاص، أو بالسم (عرفات)! أو بالاعتقال: مروان البرغوثي، وحسام خضر، وغيرهما من كوادر فتح الشرفاء والشجعان، ليخلوا الطريق لظهور وتحكم أمراء أجهزة الأمن الذين يعربدون حتى على قادة فتح وقواعدها، ويلطخون تاريخها وتراثها، ويمسحون دورها، ويقضون على مستقبلها..

أسال حرصاً على فتح، وأملاً أن تنقذ نفسها، وتخرج شعبنا من دوامة الاقتتال، بوضع حد لسارقي قرارها...

إنه لمن غير المعقول أن حركة جماهيرية بحجم فتح تنتهي هذه النهاية الكارثية التي تؤثر على مصير شعبنا وقضيتنا سلبياً، وتأخذنا إلى نهاية هي رصاصة في (القلب) يطلقها مغامرون جهلة يختطفون فتح والقضية الفلسطينية...

أين أنت يا قيادة فتح؟ أين أنتم يا قيادات فتح؟ أين أصواتكم يا أبناء فتح وبناتها الأوفياء للمقاومة والشعب وتضحيات من ضحوا بحياتهم لأجل فلسطين؟

إنقاذكم لحركتكم الرائدة هو إنقاذ لقضيتنا وشعبنا، فتحركوا واستعيدوا دور حركتكم، وهيبتها، وشعبيتها.

* كاتب من فلسطين

العراق: صلافة المملوك من صلافة سيده

جمال محمد تقي*

■ السيد بوش يتمتع بصلافة غير مألوفة وكانها انتقته ليعبر عن تجلياتها دون اي حساب لعقول ومشاعر الذين يستمعون اليه من اعضاء حزبه او حتى للذين يعملون معه في ادارته، ناهيك عن مستمعيه من ابناء شعبه عامة او من المتابعين في انحاء العالم، وسنختار عينات من بعض مواقفه التي تتصف بما ذهبنا اليه!

العالم كله ادان همجية ولا شرعية عملية اعدام صدام في حين خرج هو بتصريح يقول فيه على الحكومة العراقية ترتيب اعدام لائق للمحكومين الاخرين..!

ثم خرج بتصريح اخر بعد ان زادت حدة الانتقادات قائلا : كنت اتمنى ان ينفذ الحكم على صدام بطريقة تخلو من الاخطاء!

بوش يطالب النواب الديمقراطيون بان يفكروا ويشرعوا بطريقة تتمثل بها مصلحة الامة الامريكية وليس المصلحة الحزبية الضيقة!

فكيف يعتقد ان ما يفعله وما يقوله هو فقط الذي يمثل مصلحة الامة الامريكية خاصة وان المعنيين بالامر هم من يفترض بهم ان يكونوا نوابا للشعب، والرأي العام ناقم على سياسته وغير مقتنع بتخريجاته، فاي صلافة وغلو يسيطران على الرئيس الذي حاول ابوه الرئيس الاقدم احاطته بالعرافين لمعرفته بجهالته ووضاعة افقه، لكن الاب زاد الطين بلة بفعلته لان العرافين جربوا بابنه ما لم يجرب برئيس من قبله فوقع الرئيس ضحية جهله و